سلسلة فقه الدعوة وتزكية النفس (١٠)

# سورة المطفّفين

## وأثرها في السلوك وتزكية النفس

بقلم
حسين بن عودة العوايشة

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى للطبعة الجديدة

١٤٢٣ هـ

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

# المقدّمة

إنَّ الحمْدَ للهِ؛ نحمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أَنْفُسِنا، وسيِّئاتِ أعمالِنا، من يَهدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ.

وأَشهَدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له.

وأَشْهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدهُ ورَسولهُ.

﴿ يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حقَّ تُقَاتِهِ ولاَ تَمُوتُنَّ إلا وَأَنتُم مُسْلمونَ ﴾[1].

﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُم منْ نَّفْسٍ وَاحدةٍ وَخَلَقَ منْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ منْهُمَا رِجَالاً كَثيراً ونساءً واتَّقُوا اللهَ الَّذي تساءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ إنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقيباً ﴾[2].

﴿ يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَديداً

---

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) النساء: ١.

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[1].

**أمّا بعد:**

فإنَّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخيْرَ الهدْي هدْيُ محمّد، وشرَّ الأمور مُحدثاتُها، وكلَّ مُحدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النَّار.

فهذه رسالة لطيفة تُذكّر العبد بالله ـ تعالى ـ واليوم الآخر، من خلال (سورة المطفّفين) وذلك لما احتوته هذه السورة العظيمة من بدائع الفوائد وروائع التوجيهات.

أسأل الله ـ تعالى ـ أن ينفع بها وأن يجعلها حُجّة لي لا عليّ. إنه على كل شيء قدير.

وكتب:

حسين بن عودة العوايشة

---

(١) الأحزاب: ٧٠، ٧١.

# ويلٌ[1] للمطفّفين[2]

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، قال: «لـمّا قدم النّبيّ ﷺ المدينة؛ كانوا من أخبث النّاس كيلاً؛ فأنزل الله

---

(١) الويل: الحُزن، والهلاك، والمشقَّة من العذاب، وكلّ من وقع في هلكة دعا بالويل. «النهاية».

«ويقال: أصْله: وَيْ لفلان: أي: حُزنٌ لفلان؛ فكثر الاستعمال للحرفين، فوصلت اللام بـ«وَيْ» وجُعلت حرفاً واحداً...». «زاد المسير» (١/١٠٦).

وفي الحديث: «ويل للذي يحدّث بالحديث؛ ليُضْحِك به القوم فيكذب، ويلٌ له ويلٌ له».

أخرجه الترمذي ـ وقال: حديث حسن ـ «صحيح سنن الترمذي» (١٨٨٥)، وأبو داود، وأحمد، وانظر «غاية المرام» (٣٧٦).

(٢) المراد بالتطفيف ـ ها هنا ـ: البَخْس في المكيال والميزان، إمّا بالازدياد إن اقتضى من النّاس، وإمّا بالنُّقصان إنْ قضاهم...». «تفسير ابن كثير».

قال ابن قتيبة: المطفّف الذي لا يُوفي الكيل، يُقال: إناء طَفَّان: إذا لم يكن مملوءاً، وقال الزجّاج: إنّما قيل: مُطفّف؛ لأنّه لا يكاد يسرق في الميزان والمكيال إلاّ الشيء الطفيف، وإنما أُخِذ مِنْ طفّ الشيء، وهو جانبه». «زاد المسير» (٩/٥٢).

- سبحانه - :﴿ **ويل للمطفّفين** ﴾، فأحسَنوا الكيل بعد ذلك »[1].

﴿ **ويل للمطفّفين** ﴾:

خسار وهلاك وحُزن لمن يبخس في الميزان ولا يؤدي الحقّ اللازم فيه.

﴿ **الذين إذا اكتالوا على النّاس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون** ﴾.

إنّهم يتّبعون الهوى في معاملاتهم، فإذا كان الكيل لهم استَوْفَوْا حقّهم؛ فكان وافياً زائداً، وإذا كان لغيرهم أنقصوه.

لقد ظنّ هؤلاء أنّهم رابحون سعداء، وأنّ المال يجلب لهم القوّة والمتعة؛ ولكنّ الله - تعالى - بشّرهم بالويل، والخُسران، والهلاك.

جاء في « أضواء البيان »[2]: « والتقديم في افتتاحيّة هذه السورة بالويل للمطفّفين يُشعر بشدّة خطر هذا العمل، وهو

---

(١) أخرجه النسائي، وابن ماجه « صحيح سنن ابن ماجه » (١٨٠٨).

(٢) انظر (٩١ - ٩٢) - بحذف يسير -.

فعل خطير؛ لأنه مقياس اقتصاد العالَم وميزانُ التّعامل، فإذا اختلَّ أحدث خَلَلاً في اقتصاده، وبالتّالي اختلالاً في التعامل، وهو فساد كبير.

... ولذا فقد ورد ذكر الكيل والوزن، والحثُّ على العناية بهما في عدّة مواطِنَ، بعدَّة أساليب؛ منها الخاصّ، ومنها العامّ.

فقد ورد في الأنعام، والأعراف، وهود، وبني إسرائيل، والرحمن، والحديد، أي: في ستٍّ سور من القرآن الكريم...

**﴿ألا يظنُّ[1] أولئك أنّهم مبعوثون ليومٍ عظيم * يوم يقوم النّاس لربِّ العالمين﴾:**

---

(١) الظنّ: تأتي بمعان: الشكّ، والعلم، واليقين، والأُولى غير مرادة هنا، وفي «تفسير ابن كثير»: «﴿ألا يظنُّ أولئك﴾ أي: أما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر...»؟!

وفي «زاد المسير»: «قال المفسِّرون: «والظنّ ها هنا بمعنى العِلم واليقين».

وفي «زاد المسير» أيضاً: «قال الزّجاج: «المعنى: لو ظنّوا أنّهم يُبعثون؛ ما نقصوا في الكيل والوزن».

إنّ العبد يذكر البعث ليوم عظيم حين يبيع ويشتري.

إنّه يذكر البعث حين يكيل ويزن.

إنّه يذكر النّشور حين يتلفَّظ بالكلمة.

إنّه يذكُر قيام النّاس لربّ العالمين؛ حين يتعامل بالدّرهم والدينار.

إنّه ارتباط لا انفصام له بين السّلوك والآخرة.

إنّه النُّور الذي يُستضاء به، والهدى الذي يُستهدى به.

إنّ الأمّة التي تَدِين بهذا الدين لن تُغلب.

إنّ الأمّة التي تعيش هذا الاعتقاد لن تُقهر.

إنّ الأمّة التي تحيا هذا السلوك لن تَشْقى.

إنّها مراقَبَة الله ـ تعالى ـ في السرِّ والعلن.

من هنا؛ رأيت الجيل السابق سابقاً، سامقاً، عزيزاً، ورأيتنا نعاني من الكروب، والأحزان، والبلاء، والآفات، والمصائب؛ لأننا أبعدنا من حياتنا البعث واليوم الآخر.

ما الذي يردع التاجرَ عن الغشِّ سوى خشيةِ الله ـ تعالى ـ؟!

ما الذي يَزجُر المرْءَ أن يَكْذِب ويغتاب إلا مخافُة الله ـ تعالى ـ؟!

ما الذي يمنعُ الآثامَ والمعاصي غيْر الخوفِ من حساب الله وعذابه؟!

ما الذي يُصلح الراعي والرعيّة إلا خوفُهم من البعث وما يعقبه؟!

... إلا خوفُهم من قيامهم ليوم عظيم؛ يغيب أحدهم في عَرَقِه إلى أنصاف أُذنيه.

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النّبيّ ﷺ ﴿يوم يقوم النّاس لربّ العالمين﴾ قال: «يقوم أحدهم في رشحه[1] ـ إلى أنصاف أذنيه»[2].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض

---

(١) أي: عَرَقه.

(٢) أخرجه البخاري: ٦٥٣١، ومسلم: ٢٨٦٢.

سبعين ذراعاً، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم»[1].

وفي رواية: «إنّ العرقَ يوم القيامة ليذهب في الأرض سبعين باعاً[2]، وإنّه ليبلغُ إلى أفواه النّاس ـ أو إلى آذانهم ـ يشك ثورٌ أيهما قال»[3].

وعن المقداد بن الأسود، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُدنى الشمسُ يومَ القيامة من الخلق؛ حتى تكون منهم كمقدار ميل»[4].

قال سُليم بن عامر: «فوالله! ما أدري ما يعني بالميل: أمسافة الأرض، أم الميل الذي تُكتحل به العين»؟!

قال: «فيكون النّاس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حَقْوَيه[5]، ومنهم من يُلْجِمُه العرق

---

(١) أخرجه البخاري: ٦٥٣٢.

(٣) الباع: قَدْر مدِّ اليدين. «المحيط».

(٣) «صحيح مسلم»: ٢٨٦٣.

(٤) أخرجه مسلم: ٢٨٦٤.

(٥) الأصل في الحقو: مَعْقِدُ الإزار، وهو هنا ـ كما يبدو من =

إلجاماً، قال: وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه»[1].

إنّ هذا يُعيننا على إدراك مثل قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليقل خيراً أو ليصمُت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلا يؤذِ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليُكرم ضيفه»[2].

وأيضاً قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلا يخلونّ بامرأة ليس معها ذو محرم منها؛ فإنّ ثالثَهما الشيطان»[3].

ومِثل هذا كثير في الحديث الشريف؛ في الحضّ على الخوف من الله ـ تعالى ـ وتذكُّر اليوم الآخر؛ في التعامُل، والتجارة، وعدم الجلوس على مائدةٍ يُدار عليها الخَمْرُ، واجتناب بعض اللّباس والتحلل من المظالم ...

---

= السياق ـ ما يحاذي هذا الموضع من الجنبين.

(١) أخرجه مسلم: ٢٨٦٤.

(٢) أخرجه البخاري: ٦٤٧٥، ومسلم: ٤٧.

(٣) أخرجه أحمد من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ وغيره، وصحّحه الحاكم، ووافقه الذهبي وشيخنا الألباني ـ رحمه الله ـ كما في «غاية المرام» (ص١٨٠).

قال في «أضواء البيان»[1] في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ألا يظنّ أولئك أنّهم مبعُوثون**﴾ تقريع وتوبيخ لهؤلاء النّاس، وفيه مسألتان:

الأُولى: أنّ الباعث على هذا العمل هو عدم اليقين بالبعث، أو اليقين موجود؛ لكنّهم يعملون على غير الموقنين، أي: غير مُبالين؛ كما قال الشاعر في مثل ذلك ـ وهو ما يُسمّى في البلاغة بلازم الفائدة ـ:

جاء شقيق عارضاً رمحه

إن بني عمّك فيهم رماح

فالمتكلّم يعلم أنّ شقيقاً عالم بوجود الرّماح في بني عمّه، وأنهم مستعدون للحرب معه؛ ولكنّه رأى منه عدم المبالاة وعدم الاستعداد؛ بأن وضَع رمحه أمامه معترضاً، فهو بمنزلة من لا يؤمن بوجود الرّماح في بني عمّه، وهو لم يُرِدْ بكلامه معه أن يُخبره بأمر يجهله، ولكنّه أراد أن ينبّهه لما يجب عليه فعله من التّأهُّب والاستعداد، وهكذا هنا، وهذا عام في مُسوِّف ومتساهل، كما جاء: «لا يزني الزاني حين

---

(١) (٩/ ٩٧ ـ ٩٨).

يزني وهو مؤمن»[1].

وأورد القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٥٥) عند هذه الآية: أنّ أعرابيّاً قال لعبدالملك بن مروان: قد سمعت ما قال الله في المطفّفين، فما ظنّك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن؟! »اهـ.

فيا ليت حكّامَ المسلمين وولاةَ الأمور يُدركون هذه المعانيَ!

ليتهم يذكُرون حساب الله وعذابَه.

﴿يومئذ تُعرضون لا تخفى منكم خافية﴾[2].

هناك؛ بلا قصور، أو جند، أو خدم، أو حشم، أو سلطان، أو جاه!

إنّ مسؤُليّة الأفراد عظيمة، فكيف بمن يحمل مسؤُليّة الأُمّة؟!

---

(١) أخرجه البخاري: ٢٤٧٥، ومسلم: ٥٧.

(٢) الحاقّة: ١٨.

﴿ كلا[1] إنّ كتاب الفُجّار لفي سجّين[2] * وما أدراك

(١) كلاّ: ردْع وزجْر، أي: ليس لأمر على ما هم عليه فليرتدعوا، وها هنا تمّ الكلام عند كثير من العلماء، وكان أبو حاتم يقول: «كلاّ» ابتداء يتّصل بما بعده على معنى «حقّاً». «زاد المسير».

وجاء في «المنهاج» ـ لمحمد الأنطاكي ـ: كلاّ: «حرف جواب لا يُستعمل إلاّ في معرض الردع والزّجر».

(٢) قال ابن كثير ـ رحمه الله بشيء من الحذف ـ: «... أي: أنّ مصيرهم ومأواهم لفي سجّين فعّيل من السّجن، وهو الضيق... ولهذا عظّم أمره؛ فقال ـ تعالى ـ: ﴿ وما أدراك ما سجين ﴾ أي: هو أمر عظيم، وسجْن مقيم وعذاب أليم».

ثمّ ذكر ـ رحمه الله ـ أقوالاً متفرّقة في ذلك، ثمّ قال: «والصحيح أنّ سجّيناً ماخوذٌ من السُّجن، وهو الضيق؛ فإنّ المخلوقات: كلّ ما تسافل منها وضاق، وكلّ ما تعالى منها اتّسع...

ولمّا كان مصير الفجّار إلى جهنّم ـ وهي أسفل السّافلين ـ؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ ثمّ رَدَدْناه أسفل سافلين * إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾. وقال ها هنا: ﴿ كلاّ إنّ كتاب الفُجّار لفي سجّين * وما أدراك ما سجّين ﴾ وهو يجمع الضيق والسفول، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وإذا ألُقوا منها مكاناً ضيّقاً مُقَرّنين دعوا هنالك ثبوراً ﴾ [الفرقان: ١٣] انتهى.

وفي الحديث: «اكتبوا كتابه في سجّين، في الأرض السُّفلى» =

ما سجِّين. كتابٌ مرقوم[1] ﴾.

﴿ إنّ كتابَ الفُجّار لفي سجّين ﴾.

تُرى ما الذي كان يفعله الفاجر في دنياه:

... الكفر، والفسوق، والعصيان.

---

= ـ وسيأتي تخريجه إن شاء الله ـ.

وقال الزجاج في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وما أدراك ما سجين ﴾: «أي: ليس ذلك عمّا كنت تعلمه أنت، ولا قومك». «تفسير البغوي».

(١) «ليس تفسيراً لقوله: ﴿ وما أدراك ما سجّين ﴾؛ وإنما هو تفسير لما كُتب لهم من المصير إلى سجّين؛ أي: مرقوم، مكتوب، مفروغ منه، لا يُزاد فيه أحد، ولا ينقص منه أحد، قاله محمد بن كعب القرظي». «تفسير ابن كثير».

وفي «روح المعاني» ـ بشيء من الحذف ـ: «و﴿ مرقوم ﴾ من رَقَمَ الكتاب إذا أعجمه وبيّنه؛ أي: كتاب بيِّن الكتابة، أو من رَقَمَ الكتاب: إذا جعل له رقْماً، أي: علامة.

وقال ابن عباس والضّحاك: مرقوم: مختوم بلغة حِمْير، وذكر بعضهم أنّه يُقال: رقَّم الكتاب بمعنى ختمه، ولم يخصَّه بلغة دون لغة، وفي البحر: ﴿ مرقوم ﴾ أي: مُثبت كالرَّقْم لا يبلى ولا يمحى..».

... الاستمتاع بكلّ محرّم.

... التلذُّذ بما يحلو له.

وما الذي ينتظر الفاجرَ أوَّلَ انقطاعه من الدنيا وإقباله من الآخرة؛ وقبل أن يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: «اكتبوا كتابه في سجّين؛ في الأرض السفلى»؟!

تنزل إليه من السماء ملائكة، غلاظ، شداد، سود الوجوه.

يُقال له: أيّتها النّفس الخبيثة اخرُجي إلى سخط من الله وغضب؛ فتفرّق في جسده، حتى إنّ عروقه وعصبه لتقطّع عند الانتزاع.

يلعنه كل ملك بين السماء والأرض.

تُغلق أبواب السماء ولا تُفتّح له.

تخرُجُ منه كأنتن ريح جيفة وُجدت على وجه الأرض لا تُفتح له أبواب السماء.

يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ في حقّه: «اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى» وماذا بعدا هذا القول؟

يُقال: أعيدوا عبدي إلى الأرض؛ فإني وعدتهم: أني

منها خلقتهم، وفيها أُعيدهم، ومنها أُخرجهم تارَة أُخرى.

وتُطرح روحه من السماء طرحاً حتى تقع في جسده فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه ويُجلسانه، فيقولان له: من ربُّك؟ ما دينك؟ ما تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟

وفي كلِّ ذلك يقول: هاه هاه لا أدري! فينادي مناد من السماء: أن كذب فافرشوا له من النّار، وافتحوا له باباً إلى النّار، فيأتيه من حرّها وسَمومها[1].

يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه.

يُضرب بمرزبة[2] ضربة حتى يصير بها تراباً، ثمّ يُعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أُخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلاّ الإنس والجن، ثمَّ يُفتح له باب من النّار، فيقول: ربِّ! لا تُقِم السّاعة.

وذلك لحديث البراء بن عازب الطويل عن النّبيّ ﷺ:

---

(١) السّموم: الريح الحارّة.

(٢) المِرزَبة: ـ بالتخفيف ـ: المطرقة الكبيرة التي تكون للحداد. «النهاية».

« ... وإنّ العبد الكافر (وفي رواية: الفاجر) إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة؛ نزل إليه من السماء ملائكة؛ غلاظ، شداد، سود الوجوه، معهم المُسوح[1] من النّار، فيجلسون منه مدَّ البصر، ثمّ يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيَّتها النّفس الخبيثة! اخرجي إلى سخط من الله وغضب ـ قال ـ: فتفرَّق في جسده؛ فينتزعها كما يُنتزع السُّفود الكثير الشعب من الصوف المبلول، فتُقطّع معها العروق والعصب؛ فيلعنه كلُّ ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء، وتُغلق أبواب السماء؛ ليس من أهل باب إلاّ وهم يدْعون الله ألاّ تَعرُجَ روحُه من قِبلهم فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدَعوها في يده طرفة عين؛ حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويُخرُج منها كأنتن ريح جيفة وُجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلاّ قالوا: ما هذا الرُّوح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان ـ بأقبح أسمائه التي كان يسمَّى بها في الدنيا ـ

---

(١) جمع المسح، وهو ثوب من الشعر الغليظ، والكساء من الشَّعَر، والجمع القليل أمساح، والكثير: مُسوح. ملتقطاً من «لسان العرب» و «تاج العروس».

حتى يُنتهى به إلى السماء الدنيا، فيُستفتح له؛ فلا يفتح له ـ ثمَّ قرأ رسول الله ﷺ ـ: ﴿ **لا تُفتّح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنّة حتى يلِجَ الجمل في سمِّ الخياط** ﴾[1]، فيقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: اكتبوا كتابه في سجّين، في الأرض السفلى، ثمّ يُقال: أعيدوا عبدي إلى الأرض؛ فإني وعدتُهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أُخرجهم تارَةً أُخرى، فتُطرح روحُه من السماء طرحاً حتى تقع في جسده ـ ثمّ قرأ ـ: ﴿ **ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتَخْطَفُهُ الطير أو تهوي به الريحُ في مكان سحيق** ﴾[2] فتعاد روحه في جسده، قال: فإنّه لَيَسْمع خفْق نعال أصحابه إذا ولَّوْا عنه.

ويأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه، ويُجلسانه فيقولان له: من ربّك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه؛ فيُقال: محمّد؟! فيقول: هاه هاه لا أدري؛ سمعتُ النّاس يقولون ذلك! قال: فيُقال: لا دريتَ ولا تلوت، فينادي منادٍ من

---

(١) الأعراف: ٤٠ وسمّ الخياط: ثقب الإبرة، انظر «الوسيط».

(٢) الحج: ٣١.

السماء: أن كذب، فافرشوا له من النّار، وافتحوا له باباً إلى النّار، فيأتيه من حرّها وَسَمُومها، وَيَضيقُ عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه (وفي رواية: ويُمثل له) رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، مُنتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت تُوعد، فيقول: وأنت؛ فبشّرك الله بالشر؛ من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر! فيقول: أنا عملك الخبيث، فوالله! ما علمْتُ إلاّ كنت بطيئاً عن طاعة الله، سريعاً إلى معصية الله، فجزاك الله شرّاً، ثمّ يُقيَّضُ له أعمى أصمّ أبكم؛ في يده مِرزَبَة - لو ضرب بها جبل كان تراباً - فيضربه ضربة حتى يصير بها تراباً، ثمّ يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أُخرى، فيصيح صيحةً يسمعه كلّ شيء إلا الثقلين، ثمّ يُفتح له باب من النّار، ويمهد من فرْش النّار، فيقول: ربِّ لا تُقم الساعة»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود، والحاكم، والطيالسي، وأحمد - والسياق له - والآجري في «الشريعة»، وروى بعضه جمع من الأئمة، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين، وأقرّه الذهبي، وشيخنا - رحمه الله - في «أحكام الجنائز» وصحّحه ابن القيّم - رحم الله الجميع - في «أعلام الموقعين»، و «تهذيب السنن»، ونقل فيه تصحيحه عن أبي نُعَيْم وغيره، كما في «أحكام الجنائز» (ص٢٠٢) طبعة دار المعارف، =

وما أدراك ما سجّين.

إنّ كلمة ﴿وما أدراك﴾ تدلُّ على أهمية الأمر وخطورته.

لقد تكرّر هذا الأسلوب القرآني البديع في عدّة مواضعَ كقوله ـ تعالى ـ:

﴿وما أدراك ما يوم الدين﴾[1].

﴿وما أدراك ما الطّارق﴾[2].

﴿وما أدراك ما العقبة﴾[3].

﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾[4].

﴿وما أدراك ما القارعة﴾[5].

---

= وقد أورده شيخنا ـ رحمه الله ـ بزياداته ورواياته المفيدة النافعة.

(١) الانفطار: ١٧.

(٢) الطارق: ٢.

(٣) البلد: ١٢.

(٤) القدر: ٢.

(٥) القارعة: ٣.

﴿ وما أدراك ما هِيه ﴾[1].

﴿ وما أدراك ما الحُطمة ﴾[2].

﴿ ويل يومئذ للمكذبين[3] * الذين يكذِّبون بيوم الدين ﴾.

متى هذا الويل، والحزن، والهلاك، والعذاب؟

﴿ ... يومئذ ﴾.

ففي يومهم هذا يحيون تمتُّعاً ونعيماً، ويومئذ يتلظَّوْن عذاباً وجحيماً.

وفي يومهم هذا يضحكون، ويومئذ يبكون ويتحسَّرون.

وفي يومهم هذا يُكذّبون، ويومئذ لهم الويل والهلاك والخسار.

---

(١) القارعة: ١٠.

(٢) الهُمزة: ٥.

(٣) في «تفسير ابن كثير»: «إذا صاروا يوم القيامة إلى ما أوعدهم الله من السِّجن والعذاب المهين».

ومن هم المكذّبون؟

﴿ **الذين يُكذبون بيوم الدين** ﴾.

ومن الذي يكذّب بيوم الدين؟

﴿ ... **وما يُكذّب به إلاّ كل معتدٍ أثيم** ﴾.

فالتّكذيب بيوم الدين اعتداء.

والتكذيب بيوم الدين إثم.

عجباً لمن ينكر عُدوان سارق الدراهم، ولا يُنكر عُدوان المكذّب بيوم الدين!

إنّهم يتفنّون في اعتدائهم وإثمهم وقولهمُ الكفْرَ.

إنهم حين تُتلى عليهمُ الآياتُ يقولون: «هذه أساطير الأوّلين».

ثمّ يأتيهمُ الرّدع والزّجر من الله ـ تعالى ـ بقوله: ﴿ **كلاّ بل رانَ على قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾.

فثمرة استهتارهم في الاعتقاد؛ إنما هو الكسب الآثم الدائم الذي كسبوه واقترفوه.

... إنَّه الران الذي غلَّف قلوبهم.

فلنحْذَرْ من الآثام والمعاصي.

ولنكثر من التّوبة والاستغفار كيلا يصيبنا ما أصابهم.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «إنّ العبد إذا أخطأ خطيئة نُكتت في قلبه نكتةٌ سوداء، فإذا نزع واستغفر وتاب سُقل قلبه، وإن عاد زيدَ فيها حتى تعْلُوَ قلبه، وهو الرّان الذي ذكر الله ﴿ **كلاّ بل رانَ على قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾»[1].

﴿ **كلاّ بل رانَ على قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾.

لقد ران على قلوبهم فما آمنوا.

لقد ران على قلوبهم فما أدركوا.

لقد ران على أبصارهم فما رَأَوْا.

لقد ران على أسماعهم فما سمعوا.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، والترمذي «صحيح سنن الترمذي» (٢٦٤٥) والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم من طريقين ـ وقد قال في أحدهما: صحيح على شرط مسلم ـ، وغيرهم. وانظر «الترغيب والترهيب» ـ للمنذري ـ (الترغيب في الاستغفار). وسقل: جُلي ونظُف وطهُر.

وفي بعض الروايات: «صقُل» وفي «القاموس المحيط»: «السقل: الصقل».

لقد حجبهم عن الفهم والعلم والإدراك والسَّمع.

لقد حجبهم عن كلّ خير وبركة.

لقد حجبهم عن كلّ سعادة ووئام.

لقد حجبهم عن ربّهم ـ سبحانه ـ.

﴿ كلاّ إنَّهم عن ربِّهم يومَئذٍ لمحجوبُون[1] ﴾.

---

(١) جاء في «تفسير ابن كثير»: «قال الإمام أبو عبدالله الشافعيُّ: «وفي هذه الآية دليل على أنّ المؤمنين يرَونه ـ عزّ وجلّ ـ يومئذ»، وهذا الذي قاله الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ في غاية الحسن.

وهو استدلال بمفهوم هذه الآية؛ كما دلّ عليه منطوق قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة ﴾وكما دلّت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة؛ في رؤية المؤمنين ربَّهم ـ عزّ وجلّ ـ في الدار الآخرة رؤيةً بالأبصار؛ في عرصات القيامة وفي روضات الجنان الفاخرة».

وعن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ، قال: «كنّا عند النّبيّ ﷺ فنظر إلى القمر ليلةً ـ يعني: البدر ـ؛فقال: «إنكم سترَوْن ربكم كما ترون هذا القمر لا تُضامُّون[ قيل: يجوز ضمُّ التاء وفتحها، وقيل: بتخفيف الميم من الضّيم وهو الظلم.] في رؤيته». أخرجه البخاري (٥٥٤) ومسلم (٦٣٣).

إنهم يُحجَبون عن ربّهم ـ عزّ وجلّ ـ، ولكنَّ المؤمنين يستمتعون بالنظر إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ كما في قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة** ﴾.

وعن صهيب ـ رضي الله عنه ـ عن النّبيّ ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنّة الجنّة، يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: تريدون شيئاً أزيدُكم؟ فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا؟ ألم تُدخِلنا الجنّة وتنجّنا من النّار؟!

ـ قال ـ: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النّظر إلى ربهم ـ عزّ وجلّ ـ»[1].

إنّها لعقوبة عظيمة حلَّت بهم، وهي حجْبهم عن ربّهم ـ سبحانه ـ بسبب الرّان الذي اختاروه، وسلكوا سبيله.

﴿ **ثمّ إنهم لصالوا الجحيم** ﴾.

«لقد حُرِموا من أعظم عطاء يحبه المرء؛ وهو النّظر إلى الله ـ تعالى ـ ثمّ هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن من أهل النيران»[2].

---

(١) أخرجه مسلم: ١٨١ وغيره.

(٢) عن «تفسير ابن كثير».

فكيف يكون حالهم ـ لا أرانا الله مقامهم، ولا أحلّنا مكانهم ..

ثمّ يُقال: ﴿هذا الذي كُنتم به تكذّبون﴾.

«ويقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ، والتصغير والتحقير»[1].

«هذا»: اسم إشارة للقريب.

لقد قرُب بعد أن كان بعيداً في نظرهم.

بل إنهم عاينوه وذاقوه ووقعوا فيه.

بل إنَّهم فيه خالدون ...

عذاب أليم لمن فسَد تصوُّره في الاعتقاد.

فهل صحّحنا أمر عقيدتنا؟

وهل أحسنّا فهمها على الوجه الصحيح، لننجو من ضَنَك الدارين وعذابهما؟

﴿كلا إنّ كتاب الأبرار لفي عليين * وما أدراك ما

---

(١) عن «تفسير ابن كثير».

**عليُّون * كتاب مرقوم... ﴾.**

ماذا يفعل الأبرار في دنياهم؟

وماذا يكون من شأنهم في البرزخ؟

وكيف يكون حالهم يوم القيامة؟

أمّا في الدنيا:

فجهاد ومجاهدة، وصبْر ومصابرة، ورباط ومرابطة.

تضحية وإيثار وبذْل وعطاء.

أداءٌ للطاعات والعبادات، ومسابقة للخيرات وإكثار من الاستغفار والتّوبة والإنابة.

شأنهم كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ **يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شرّه مستطيرا * ويُطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيرا * إنّما نُطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شُكُوراً** ﴾[1].

أمّا شأنهم في البرزخ؛ فهناك حبور وسرور وتباشير.

---

(١) الإنسان: ٧ ـ ٩.

«فإنّ المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة؛ تنزل إليه ملائكة من السماء؛ بيض الوجوه؛ كأنَّ وجوهَهُمُ الشمس، معهم كفن من أكفان الجنّة وحنوط[1] من حَنوطها.

يقول له ملك الموت ـ وقد جلسَ عند رأسه ـ: أيّتها النّفس الطيّبة! اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج بيُسر وسهولة».

تفتح له أبواب السماء، وتخرج منها؛ كأطيب نفحة مِسْك وُجدت على وجه الأرض.

تستفتح له السماوات؛ حتى ينتهي به إلى السماء السابعة؛ فيقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: اكتبوا كتاب عبدي في علّيّين، ثم يُقال: أعيدوه إلى الأرض.

يُنادي منادٍ من السماء: أن صَدَق عبدي؛ فافرِشوه من الجنّة وألبسوه من الجنّة.

يُفتح له باب إلى الجنّة، ويأتيه من روحها وطيبها،

---

(١) قال في «النهاية»: «الحنوط والحناط واحد وهو: ما يُخلط من الطّيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصّة».

ويُفسح له في قبره مدَّ بصره.

يقول إذا رأى ما في الجنّة: ربِّ! عجِّل قيام الساعة؛ كيما أرجع إلى أهلي ومالي.

وذلك لما رواه البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ، عن النّبيّ ﷺ قال: «إنّ العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة؛ نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأنّ وجوههم الشمس، معهم كفنٌ من أكفان الجنّة، وحنوط من حنوط الجنّة، حتى يجلسوا منه مدّ البصر، ثمّ يجيء ملك الموت ـ عليه السلام ـ، حتى يجلس عند رأسه؛ فيقول: أيّتها النّفس الطيّبة (وفي رواية: المطمئنة)! اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ـ قال ـ: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِي السقاء، فيأخذها (وفي رواية: حتى إذا خرجت روحه صلّى عليه كلّ ملك بين السماء والأرض، وكلُّ ملك في السماء، وفُتحت له أبواب السماء؛ ليس من أهل باب إلاّ وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبَلِهم)، فإذا أخذها لم يدَعها في يده طرفة عين؛ حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿**توفّته رُسُلنا وهم لا**

يُفرِّطون ﴾، ويخرج منها؛ كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ـ قال ـ: فيصعدون بها فلا يمرُّون ـ يعني: بها ـ على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان ـ بأحسن أسمائه التي كانوا يسمّونه بها في الدنيا ـ، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له، فيُفتح لهم، فيشيِّعه من كلِّ سماء مقرَّبوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: اكتبوا كتاب عبدي في عليِّين ﴿ **وما أدراك ما عليّون * كتاب مرقوم * يشهده المقرّبون** ﴾؛ فيكتب كتابه في عليِّين، ثمّ يقال: أعيدوه إلى الأرض؛ فإني وعدْتهم: أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أُخرجهم تارة أُخرى، قال: فيردُّ إلى الأرض، وتعاد روحه في جسده. قال: فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولَّوْا عنه مُدبرين، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار؛ فينتهرانه ويُجلسانه، فيقولان له: من ربّك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكُم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ فيقولان له: وما عَمَلُك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به، وصدّقت،

فينتهره؛ فيقول: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيّك ـ وهي آخر فتنة تُعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ **يُثبت اللهُ الذين آمنوا بالقَولِ الثَّابت في الحياةِ الدنيا** ﴾ ـ.

فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيّي محمّد ﷺ، فينادي منادٍ في السماء: أن صدق عبدي؛ فافرِشوه من الجنّة وألبسوه من الجنّة، وافتحوا له باباً إلى الجنّة ـ قال ـ: فيأتيه من رُوحها وطيبها ويفسح له في قبره مدّ بصره، قال: ويأتيه (وفي رواية: يُمثَّل له) رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيّب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرّك أبشر برضوان من الله، وجنّات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: وأنت ـ فبشرك الله بخير ـ من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فوالله ما علمتك إلا كنتَ سريعاً في طاعة الله، بطيئاً في معصية الله، فجزاك الله خيراً، ثمّ يُفتح له باب من الجنّة وباب من النّار، فيُقال: هذا منزلك لو عصيت الله؛ أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما في الجنّة قال: ربِّ! عجّل قيام السّاعة كيما أرجعُ إلى أهلي ومالي، فيقال له: اسكن»[1].

(١) تقدّم تخريجه.

وأمّا حالهم في الآخرة؛ ففي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **إنّ الأبرار لفي نعيم * على الأرائك**[1] **ينظرون * تعرِف في وجوههم نضرةَ النَّعيم * يُسقَونَ من رحيق مختوم**[2] * **ختامُه مسك**[3] **وفي ذلك فليتنافس المتنافِسون** ﴾.

---

(١) هي السُّرر تحت الحجال. «تفسير ابن كثير» و «الجامع لأحكام القرآن».

والحجال: ساتر كالقبّة يُزين بالثياب والأسرّة والسّتور للعروس.

وفي «مختار الصحاح»: الأريكة: سرير مُنجّد مُزيّن في قبة أو بيت، فإذا لم يكن فيه سرير؛ فهو حجلة.

(٢) ﴿ **يُسقون من رحيق مختوم** ﴾: أي: يُسقون من خمر الجنّة، والرحيق من أسماء الخمر: قاله ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وابن زيد. «تفسير ابن كثير».

وفي «الجامع لأحكام القرآن» ﴿ **يُسقون من رحيق** ﴾: أي: من شراب لا غِشَّ فيه: قاله الأخفش والزجّاج.

وقيل: الرحيق الخمر الصافية.

وفي «الصّحاح»: «الرحيق صفوة الخمر...».

(٣) قال ابن كثير: «قال ابن مسعود في قوله: ﴿ **ختامه مسك** ﴾ أي: خلطة مِسك، وقال العوفي ـ عن ابن عباس ـ: طيّب =

﴿ ومزاجُه من تسنيم[1] * عيناً يشرب بها المقرّبون ﴾

وهكذا فهُم في نعيم وسعادة وهناء، يتنعّمون في

---

= الله لهم الخمر، فكان آخر شيء جعل فيه مِسك خُتم بمسك، وكذا قال قتادة والضحاك.

وقال إبراهيم والحسن: ﴿ **ختامه مسك** ﴾ أي: عاقبته مسك...» وأورد ـ رحمه الله تعالى ـ أقوالاً أُخرى.

وفي «الجامع لأحكام القرآن»: ﴿ **ختامه مِسك** ﴾ قال مجاهد: «ختم به آخر جرعة، وكان ابن مسعود يقول: يجدون عاقبتها طعْم المسك، ونحوُه عن سعيد بن جبير وإبراهيم النَّخْعي قالا: ختامه آخر طعْمه، وهو حسن؛ لأن سبيل الأشربة أن يكون الكدر في آخرها، فوصف شراب أهل الجنّة بأنّ رائحة آخره رائحة المسك، وعن مسروق، عن عبدالله، قال: المختوم: الممزوج.

ثمّ ذكر ـ رحمه الله ـ أنّ أصل كلمة الختام: الطين الذي يُختم به كما في «الصحاح»، وهنا خُتم إناؤه بالمسك بدلاً من الطين؛ كما قال مجاهد، وقيل: خلطة من الطيب.

(١) قال ابن كثير: «ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم؛ أي: من شراب يُقال له: تسنيم، وهو أشرف شراب أهل الجنّة وأعلاه: قاله أبو صالح والضحاك».

وقال البغوي ـ رحمه الله ـ في «تفسيره»: «... وأصل كلمة السّنام من العلُو، يُقال للشيء المرتفع: سنام، ومنه سنام البعير، قال ابن مسعود =

طعامهم وشرابهم وجلوسهم.

حسبك أنّك تعرف في وجوههم نضرة النّعيم ورونقه.

لِمثْلِ هذا ـ عباد الله ـ فاعملوا، وفي ذلك تنافسوا:

فأين العاملون؟

أين المتنافسون؟

أين المتسابقون؟

كم تسابق النّاس للقصور؟!

كم سارعوا للأموال والتجارة؟!

كم نافسوا في الشُّهرة والجاه؟!

كم عملوا للدنيا الفانية الزائلة؟!

كم تنازع من حُسبوا على أهل الدين، من أجل عرْض زائل ومتاع فانٍ؟!

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «ما رأيت مِثل النّار؛ نام

---

= وابن عباس: هو خاص للمقرّبين يشربونها صرفاً، ويمزج لسائر أهل الجنّة، وهو قوله: ومزاجه من تسنيم». وقيل غير ذلك.

هاربها، ولا مِثل الجنّة؛ نام طالبها»[1].

**﴿إنّ الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون * وإذا مروا بهم يتغامزون[2] * وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين * وإذا رأَوْهم قالوا إنّ هؤلاء لضالُّون * وما أُرسلوا عليهم حافظين﴾.**

هذا حال المجرمين في الحياة الدنيا.

هذا شأن الفاسقين في الحياة العاجلة:

سخرية من أهل المساجد.

سخرية من مظهر اللّحية والثوب.

إنّهم - في نظر المجرمين - رجعيّون.

إنّهم في ميزان الضُّلاّل - متخلِّفون.

إنّهم يتغامزون فيما بينهم سخرية واستهزاء من المؤمنين.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد»، والترمذي، وأبو نُعَيْم في «الحلية»، وغيرهم، وهو حسن لغيره؛ كما في «الصحيحة» (٩٥٣).

(٢) الغمز: الإشارة بالجفن والحاجب؛ أي: يُشيرون إليهم بالأعين استهزاءً. «البغوي».

وماذا إذا رجع هؤلاء إلى منازلهم؟

انقلبوا فكهين؛ مهما طلبوا وجَدوا.

لقد أذهبوا طيّباتِهِمْ في الحياة الدنيا.

وإذا رأوُا المؤمنين قالوا: إنّ هؤلاء لضالُّون.

ولكن: عمّ ضلَّ المؤمنون!

لقد ضلّوا عن الضلال والغيّ والعمى.

سبحان الله! كيف تُقْلَب الموازين وتُبدّل؟!

﴿ وما أُرسلوا عليهم حافظين ﴾.

«وما بُعث هؤلاء المجرمون حافظين على هؤلاء المؤمنين ما يصدر منهم من أعمالهم وأقوالهم وكُلّفوا بهم، فلِمَ اشتغلوا بهم وجعلوهم نُصْبَ أعينهم»[1]؟!!

وفي مِثل ذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿ قال اخسؤوا فيها ولا تكلّمون * إنّه كان فريقٌ من عبادي يقولون ربَّنا آمنّا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين * فاتّخذتُموهم سِخريّاً حتى أنسَوكم ذِكري وكُنتم منهم تضحكون *

(١) من «تفسير ابن كثير».

**إنّي جزيتهُمُ اليوم بما صبروا أنّهم همُ الفائزون ﴾**[1].

**﴿ فاليومَ الذين آمنوا منَ الكُفّار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثُوِّب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾**.

بالأمس كان الكفّار يضحكون من المؤمنين.

واليوم يضحك المؤمنون من الكفار.

اليوم يبكي الفُجّار الدّمع والدّم.

**﴿ ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ﴾**[2].

إنّهم لم يعملوا ليومٍ يفرُّ المرءُ فيه من أخيه.

ولا ليوم لا تملك ـ فيه ـ نفس لنفس شيئاً.

ولا ليوم يكون النّاس فيه كالفراش المبثوث.

ولا ليوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً.

ولا ليوم تتقلّب فيه القلوب والأبصار.

ولا ليوم يُجْعل الولدان فيه شيباً.

---

(١) المؤمنون: ١٠٨ ـ ١١١.

(٢) المعارج: ٤٤.

ولا ليوم كان شرّه مستطيراً.

ولا ليوم ـ فيه ـ لا ينطقون، ولا يُؤذن لهم فيعتذرون.

ولا ليوم ينظر المرء ما قدّمت يداه ويقول الكافر: ياليتني كنت تراباً.

ولا ليوم يتذكّر الإنسان ـ فيه ـ ما سعى.

ولا ليوم يُدَعُّونَ فيه إلى نار جهنّم دعّاً.

ولا ليوم يُسحبون فيه إلى النّار على وجوههم.

ولا ليوم يُردُّون فيه إلى أشد العذاب.

ولا ليوم تجدُ كل نفس ما عملت من خير مُحضراً.

ولا ليوم تبيضُّ فيه وجوه وتسودُّ فيه وجوه.

ولا ليوم مجموعٌ له النّاس.

ولا ليوم تأتي كلُّ نفس تجادل عن نفسها.

ولكنَهم عملوا؛ ليأكلوا ويشربوا، ويتمتّعوا كما تتمتّع الأنعام.

ها هُمُ المؤمنون يضحكون من الكفار الآن.

لقد صبروا وثبتوا وتحمّلوا الكثير الكثير، فمنّ الله ـ تعالى ـ عليهم بهذه المِنّة العظيمة.

كم يَغيظُ الكفّارَ الموقفُ؟!

كم يبعث الحسرة في قلوبهم ونفوسهم؟!

لقد ضحك الكفّار بالأمس بالباطل، فليبكوا اليوم بالحقّ!

## ﴿ هل ثوّب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾.

« هل جوزي الكفّار على ما كانوا يُقابِلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقُّص أم لا »[1].

أجل؛ لقد جُوزوا أوفَرَ الجزاء وأتمّه وأكمله »[2].

فاعتبروا يا أولي الألباب!

---

(١) عن « تفسير ابن كثير ».

(٢) « تفسير ابن كثير » مع وضع (أجل ولام التوكيد) بدل كلمة (يعني).